والتزم منها الصرامة في تنفيذ الحقوق • والجزامة في اقامة الحدود • والكشف عن البينات في السر والعلانية
بالحق في الجهر • لم يشتر عادع ولم يكره مخاتل • ولم يهب ذا حرمة • ولا داهن ذا مرتبة • ولا اغضى لاحد
من اسباب السلطان واهله حتى تحاموا جانبه • فلم يجسر احد منهم عليه وكان له نصيب وافر من الادب
وحظ من البلاغة اذا نظم واذا كتب • ومن ملح شعره ما قاله عند اوبته من غربته •

كان لم يكن بين ولم تك فرقة • اذا كان من بعد الفراق تلاقي
كان لم تورق بالعراقين مقلتي • ولم تمر كف الشوق ماء ماقي
ولم ازر الاعراب في جنة ارضهم • بذات اللوى من رامة وبراق
ولم اصطبح بالبيد من قهوة الندى • وكاس سقاها في الازاهر ساقي

ولـه ايضا

ساذا الكابد من ودق مغردة • على قضيب بذات الجزع مياس
ردد دن شجوا شجى قلب الخلي فهل • في عبرة ذرفت في الحب من ناس
ذكرته الزمن الماضي بقرطبة • بين الاحبة في امن وايناس
هم الصبابة لولا همة شرفت • فصيرت قلبه كالجندل القاسي

ولـه اخبار تدل على رقة العراق • والتغذي بماء تلك الافاق • منها انه خرج الى حضور جنازة بمقابر قريش ورجل من بني جابر كان يواخيه له منزل فعزم عليه • في الميل اليه • وعلى الحنيه فنزلا عليه • فاحضر لهما طعاما وامر جارية له بالغناء فغنت • طابت بطيب لثاتك الاقداح • وزهى بحمرة خدك التفاح • واذا الربيع تنسمت ارواحه • طابت بطيب نسيمك الارواح • واذا الحنادس البست ظلماءها • فضياء وجهك في الدجى مصباح • فكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده قال يونس بن عبد الله فلقد رايته يكبر للصلاة على الجنازة والابيات مكتوبة على ظهر كفه انتهى وكان رحمه الله تعالى في غاية اللطف حكى بعض اصحابه قال ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس اذ عرض لنا فتى متادب قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما راى القاضي هابه واراد الانحراف فخانته رجلاه فاستند الى الحايط واطرق فلما قرب القاضي رفع راسه ثم انشا يقول

الا ايها القاضي الذي عم عدله • فاضحى به بين الانام فريدا
قرات كتاب الله تسعين مرة • فلم ار فيه للشراب حدودا
فان شئت جلدا لي فدونك منكبا • صبورا على ريب الزمان جليدا
وان شئت ان تعفو تكن لك منة • تروح بها في العالمين حميدا
وان انت تختار الحديد فان لي • لسانا على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز ادبه اعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشانه انتهى ملخصا من المطمح ورايت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة سمع من ابيه عبد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة اثني عشر وثلاثمائة ودخل مصر وحج وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلي وابن الاعرابي وغيرهم وكان حافظا معتنيا بالاثار جامعا للسنن متصرفا في علم الاعراب ومعاني الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضي احمد بن بقي واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجانة ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد ابي طالب سنة ثلاثمائة وست وعشرين وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيرا ما يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ما وهى منها فاعتل في اخر خرجاته ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ثلاثمائة وتسع وثلاثين ومولده سنة مايتين واربع وثمانين انتهى واظن اني نقلته من كتاب ابن الابار الحافظ والله اعلم

ومنهم عتيق بن احمد بن عبد الباقي الاندلسي الدمشقي وفاة يكنى ابا بكر نزيل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقراء وولد على ما قيل سنة خمسماية وستة عشر وتوفي سنة ستماية وستة عشر بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره على هذا ماية سنة رحمه الله ونفعنا به وبركات امثاله ومنهم ابو ابراهيم اسمعيل بن محمد بن يوسف الانصاري الاندلسي الابذي الملقب في البلاد المشرقية ببرهان الدين والابذي بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلد بالاندلس سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ ابن طبرزد وام بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفي سنة ستماية وست وخمسين واخبر عن بعض الاولياء المجاورين ببيت المقدس انه سمع هاتفا يقول • لما خرب القدس ان يبكي بالشام • قل نصيري ثم خربت واستمر هلوكي • فلقد ابتت العداة خرابي • ثمر الهار في حياة الملوك • هكذا رايته بخط الصفدي في حياة ويحتمل ان يكون في جباه جمع جبهة والله اعلم ومنهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملة من اخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف في الله لومة لايم ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصة في ايتام اخي نجدة وحدث بها جماعة من اهل العلم والرواية وهي ان الخليفة الناصر احتاج الى شراء دار بقرطبة لحظية من نسايه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لاولاد زكريا اخي نجدة وكانت بقرب النشاريين في الربض الشرقي منفصلة عن دوره ويتصل بها حمام له غلة واسعة وكان اولاد زكريا اخي نجدة ايتاما في حجر القاضي فارسل الخليفة من قومها له بعد ما طابت نفسه وارسل ناسا امرهم بمداخلة وصي الايتام في بيعها عليهم فذكر انه لا يجوز الا بامر القاضي اذ لم يجز بيع الاصل الا عن رايه ومشورته فارسل الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار فقال لرسوله البيع على الايتام لا يصح الا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فاما الحاجة فلا حاجة بهولاء الايتام الى البيع واما الوهي فليس بها واما الغبطة فهذا مكانها فان اعطاهم امير المومنين فيها ما تستبان به الغبطة امرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهد في شراء الدار طمعا ان يتوخى رغبته فيها وخاف القاضي ان تنبعث منه عزمة تلحق الايتام سورتها فامر وصي الايتام

بنقض

اخبار القاضي منذر

٨١

بنقض الدار وبيع انقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة اكثر مما قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وامر بتوقيف الوصي على ما احدثه فيها فاحال الوصي على القاضي انه امره بذلك فارسل عند ذلك للقاضي منذر وقال انت امرت بنقض دار اخي نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك قال اخذت فيها بقول الله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا مقوموك لم يقدروها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نض في انقاضها اكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضلا ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما اتى من ذلك وقال نحن اولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا قالوا وكان مع حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه به حتى اذا رام ان يصيب من دينه شعرة ثار له ثوران الاسد الضاري فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع ابينا للافطار بداره البرانية فاذا سايل يقول اطعمونا من عشائكم اطعمكم الله من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضي ان استجيب لهذا السايل فيكم فليس يصبح منا واحد وحكي عنه قاسم بن احمد الجهني انه ركب يوما لحيازة ارض محبسة في ركب من وجوه الفقهاء واهل العدالة فيهم ابو ابراهيم اللولوي ونظراوه قال فسرنا نقفوه وهو امامنا وامامه امناوه يحملون خرايطه وقد ودع عليهم السكينة والوقار وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشى فعرض له في بعض الطريق كلاب مع مستوحرة وكلاب تلعق هنها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه الينا وقال ترون يا اصحابنا سائر الكلاب بالهن الذي تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد اضحكنا وبقينا متعجبين من هزله وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلاء له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة • وسط روضة نافحة • في يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفهم من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد • وبث منه ما تجاوز الحد • فامره بخلع ثيابه • والتخفيف من جسمه ففعل ولم يطف ذلك ما به • فقال له الصواب ان تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك وليس مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي امين الخليفة الحكم لا ثالث لهم فكانه استحيى من ذلك وانقبض عنه وقارا • وقصر عنه اقتصارا • فامر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه الى النزول في الصهريج ليسهل عليه الامر فبادر جعفر لذلك والقى نفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي الا انفاذ امر الخليفة فقام والقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدرج ولم ينبسط في السباحة وجعفر يمر مصعدا ومصوبا فدس الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم فهو يعجزه في اخلاده الى القعود ويعابثه بالقاء الماء عليه والاشارة بالجذب اليه • وهو لا ينبعث معه • ولا يفارق موضعه • الى ان كلمه الحكم وقال له ما لك لا تساعد الحاجب في فعله وتقبل صنعه • فمن اجلك نزل • وبسببك تبذل • فقال له يا سيدي يا امير المومنين الحاجب سلمه الله لا هوجل معه وانا بهذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من ان اجول معه مجاله يعني ان الحاجب خصي لا هوجل معه والهوجل الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه بجعفر وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف وخرجا من الماء وامر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما وحكي ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لا تجتهد للايتام وانك تقدم لهم اوصياء سوء ياكلون اموالهم قال نعم وان امكنهم نيك امهاتهم لم يعفوا عنهن قال وكيف تقدم مثل هولاء قال لست اجد غيرهم ولكن احلفهم على اللولوي وابي ابراهيم ومثل هولاء فان ابوا اجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا وقال القاضي منذر اتيت وابو جعفر بن النحاس في مجلسه بمصر يملي في اخبار الشعراء شعر قيس المجنون حيث يقول •

خليلي هل بالشام عين حزينة • تبكي على نجد لعلي اعينها
قد اسلمها الباكون الا حمامة • مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها اخرى على خيزرانة • يكاد يدنيها من الارض لينها

فقلت له يا ابا جعفر ماذا اعزك الله باتا يصنعان فقال لي وكيف تقول انت يا اندلسي فقلت له بانت وبان قرينها فسكت وما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي اين انت عن ابي العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروة فسالته الكتاب فاخرجه الي ثم ندم ابو جعفر لما بلغه اباحة ابي العباس الكتاب لي وعاد الى ما كنت اعرفه منه قال وكان ابو جعفر لئيم النفس شديد التقتير على نفسه وربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمايم وكان يابى شراء حوايجه بنفسه ويتحامل فيها على اهل معرفته انتهى وابو جعفر هذا يقال ان تواليفه تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القران ومعاني القران وشرح ابيات الكتاب وغير ذلك رجع وقال منذر بن سعيد كتبت الى ابي علي البغدادي استعير منه كتابا من الغريب وقلت

بحق ريم مهفهف • وصدغه المتعطف
ابعث الي بجزء • من الغريب المصنف
وحق در تالف • بفيك اي تالف
لتقضي حاجتي واجب • بقولـه
ولو بعثت بنفسي • اليك ما كنت اسرف
لابعثن بما قد • حوى الغريب المصنف

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة

وذكر ابن اصبغ الهمداني عن منذر انه خطب يوما واراد التواضع فكان من فصول خطبته ان قال حتى متى اعظ ولا اتعظ • وازجر ولا ازدجر • ادل الطريق على المستدلين • وابقى مقيما مع الحايرين • كلا ان هذا لهو البلاء المبين • ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء الاية • اللهم فرغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به ولا تحرمني وانا اسالك ولا تعذبني وانا استغفرك يا ارحم الراحمين

King Saud University
Copyright © King Saud University